# الفصل الثالث

## المدارس الطبية ونظريات الطب عند قدماء المصريين

obeikandl.com

obeikandl.com

## * مدارس الطب عند قدماء المصريين :

عنى المصريون القدماء بالعلوم الطبية عناية كبيرة وعوّلوا على تعميم تداولها وتسهيل تلقينها بين الأقاليم حتى لا تبقى كنزاً تحصره الصدور ويعز الوصول إلى نفائسه . ورأوا أن إنشاء المدارس الطبية داخل المعابد والهياكل فى عواصم الأقاليم لتلقى وتلقين هذا الفن ، أضمن لفائدة الشعب ، وأليق بخدمة الإنسانية كيلا يبقى الطب كطلاسم يحتكرها أفراد بذاتهم بهدف منفعتهم الشخصية .

واختاروا لهذه المدارس أشخاصاً من الموثوق بذمتهم وفضلهم ، المتخلقين بالفضيلة ، ذوى القلوب الرحيمة بالضعفاء ، وقد كان شعار الأطباء فى ذلك العصر هو حلق رءوسهم ، ولبس جلود الفهود على ظهورهم ، واتخاذهم الثياب المنسوجة من الكتان الغليظ كشعار يعرفون به أينما وجدوا .

وبدأوا بإنشاء هذه المدارس فى الجهات الأكثر شهرة وعمراناً ، وكان من بينها مدارس ممفيس وعين شمس وطيبة وصا الحجر ، وكانت المدارس الطبية الموجودة فيها كجامعات كبرى ، حيث يتلقى الطلاب فيها ، الفنون الطبية بأنواعها مع بعض علوم اللاهوت والحساب والهندسة والفلك .

ومن قوانينهم أن لا يرشح لها من الشبان وغيرهم إلا من يكون كثير الصمت ، شهيراً بالثبات والحلم ، وأجريت له عملية الختان ، وأن يكونوا بعد تلقى الدروس وتلقينها فى أماكن التعبد خلف المحاريب والهياكل حتى لا تدنس نفوسهم بمخالطة السفهاء فيعرضهم ذلك إلى النقائص .

ولم يكن للتعليم أمد محدود من السنين بل كان الطلاب يتلقون المبادئ الدراسية فى بعض الشهور . ثم ينتقى الأساتذة الطلاب الأكثر نجابة إلى فرق أخرى ، وينتخبون من بين هذه الفرق الممتازة أوائل الطلاب ، وهكذا حتى لا يحرم الطالب النابغ من ثمرات التفوق ومميزات الفطنة .

( المعبودة توبريس إله الحبالى )

رسم المعبودة توبريس على شكل جاموس البحر . والأصل من الحجر المسن الأخضر بالمتحف المصرى بالطبقة السفلى بالقاعة O ومهنتها حفظ الحبالى مما يعرض لهن من تعب .

ومتى أتم الطالب دراسته يحصل على الشهادة النهائية فى حفلات التكريم التى كانت تعقد خصيصاً لهذا الغرض (أمام الهيكل المقدس فى حضور الأساتذة ورؤساء الأطباء) حيث يؤدون اليمين القانونية بكتمان أسرار العلوم عن غير أهلها ، وأن يؤدى الطبيب مأموريته فى خدمة المجتمع الإنسانى بالصدق للجميع ، والرأفة على الفقير ، وأن يبدأ حياته فى الميدان الطبى بتمضية بعض السنين فى وظيفتى الكهانة والطب ويتفرغ بعدها لعلومه الطبية .

ومن المأثور عنهم إعداد عيادات فى المعابد والهياكل لفقراء المرضى ومداواتهم مجاناً .. وكان طلاب الطب فى هذه المدارس الطبية الكهنوتية يتمرنون على الأعمال الجراحية وغيرها ليساعدوا فيها كبار الأساتذة عند كثرة الوافدين إلى هذه المستشفيات ، ويختارون لهذه المعابد التى بها المدارس الطبية أماكن فيحاء ويقيمون حولها البساتين والحدائق الحاوية لكثير من النباتات الصالحة لتحضير العقاقير والمركبات العلاجية منها فى معاملها الخاصة بهذه التجهيزات حسب القواعد العلمية .

وكانوا يعتنون بالآلات الجراحية بأنواعها ولا يبعد أن يكون ما اكتشف منها فى مدينتى ممفيس وطيبة من آثار تلك المستشفيات ـ وكانوا يهتمون بالأبحاث الطبية بل وفى شتى العلوم ، وكانوا يحفظون المراجع الهامة فى خزائن منفردة بمكان محفور فى المبانى ، وقد اكتشفت أوراق عديدة من البردى مكتوب عليها فصول ذات فائدة فى علوم متنوعة تدل على حرص القوم واجتهادهم فى تدوين الأبحاث وترقية المعارف جهد استطاعتهم .

## * علاقة الآلهة بالطب :

سبق الحديث عن الآلهة سخمت كأحدى إلهات الطب ولكننا هنا نعرضه بشيء من التفصيل حتى يكون القارئ الكريم على علم به ، وهو يدل بما لا يدع مجالاً للشك على أهمية الطب عند قدماء المصريين باعتباره ضرورة من

ضروريات الحياة . وكان المصريون القدماء يقدسون الآلهة التى يعبدونها بوجه عام ويزعمون أن بعض هذه الآلهة قد تخصص لشىء من العلوم والحاجيات الإنسانية ، وعلى قدر حاجتهم إليها يجعلون لهم من أجلها احتراماً خاصاً . وكانوا يعتقدون أن «ايزيس» و «سخمت» و «امحوتب» هم آلهة الطب وفنونه ، ويصفون إيزيس بأنها إلهة الطب الحقيقية ، وأن صفاتها الجمالية كانت جذابة للأرواح ، وإليها يرجع الفضل فى كل ما حازه زوجها «ازوريس» من العظمة فى دولته ، وكانت تدعى «هاتور» إلهة السماء ، وتدعى «نيت» إلهة التناسل وينسبون إليها اهتماماً عظيماً بالحوامل ، وشيدوا باسمها معبداً خاصاً معداً لتعليم القابلات وتمريض الحبالى ، تقصده النساء عندما يعتريهن مرض أثناء الحمل ، حيث تستمر فيه الحوامل ، ويعتنى براحتهن ، وتقدم لهن الأدوية حتى ينلن الشفاء ، ويضعن حملهن بسلام .

وكانت سخمت كما أسلفنا تُدعى إلهة الجراحة ، وفى الهيكل المسمى باسمها كان يوجد معلمون لعلم الجبر يتلقاه الكهنة صغار السن حتى يبرعوا فى مهنتهم وعلاج من يقصدونهم للتداوى وطلب الشفاء .

والإله امحوتب كانوا يلقبونه ابن متاح إله الخلق ، ويمثلونه بطفل جالس يحمل سجلاً من ورق البردى مبسوطاً على ركبتيه ، وقد شيدوا باسمه مستشفى فى معبد ممفيس يقصده المرضى من الجهات النائية لينالوا الشفاء بعد مكثهم فيه زمناً محدوداً ، وكان الكثيرون من الكهنة عالمين بمهنة الطب ، بارعين فى تشريح الجثث وتحنيطها .

ولقد اكتُشف بجوار معبد «امحوتب» مكتبة هى أشهر ما تم اكتشافه فى تاريخ مصر القديم وبقيت إلى عصر الرومان ، ومنها انتقلت العلوم الطبية الفرعونية إلى أطباء اليونان الذين برعوا فيها ، ومنها استخرجت بردية برلين الطبية التى كان لها شأن عظيم فى علم الطب .

## * علاقة الطب بالكهنوت :

يتمسك المصريون القدماء كثيراً بالمبادئ الكهنوتية فى مقاصدهم الشريفة حرصاً عليها من الشوائب التى لا تناسبها . وبمقتضى ذلك كان الأطباء على علم تام بقواعد الكهنوت ليباشروا وظائفهم بطهارة القلب ونزاهة النفس وحسن الإيمان بقدرة الإله الأعلى ، ولهذا كان الأطباء يفضلون اتخاذ عياداتهم فى ذات المعابد أو بالقرب منها لأن الشعب وقتها كان كثير التعلق بأماكن التعبد . فعندما يشعر الفرد بأى انحراف أو اعتلال فى صحته يقصد التبرك بأماكن العبادة ومن فيها ، فوجود العبادات بدائرتها تسهيل على المريض والطبيب .

ولثقة الملوك الفراعنة بمكانة الأطباء المشهورين بأنهم خَدمة للبشر جعلوا لهم شعاراً فى زهرات الحياة ، ويمنحونهم معاملة خاصة إظهاراً للعناية بهم وبرهاناً للعطف عليهم ، من ذلك إعفاؤهم من نصف الضرائب المقررة على الممتلكات بأنواعها واستدعاؤهم فى الاحتفالات الرسمية حتى لو لم يكونوا من ذوى الألقاب المدنية لأن لقب الطبيب كان يفوقها تكريماً واحتراماً .

ومن مميزاتهم أن ينتجب أطباء الملوك الأخصائيون ورجال حاشيتهم من أولئك البارعين فى فن الطب ، وعدم حرمانهم من التزوج إذا رغبوا فيه ، والإقامة بعائلاتهم خارج المعبد .

وكان المألوف فى تلك العصور أن يُنقد الطبيب أجراً مالياً عقب شفاء المريض على قدر حالته بين قومه ، ثم عدلوا عن هذه الطريقة وقرروا أن كل مريض يمتنع منذ بداية مرضه عن حلق شعره أو قص شىء منه حتى يتم شفاؤه . وفى يوم النقاهة يحلق شعره ويزنه بالفضة أو الذهب ويسلم كل ذلك للمعابد التى كانت تؤدى للأطباء رواتب شهرية نظير حصولها على هذه الأجور ، مع ما كان يُقدم لها من النذور المصحوبة بصورة العضو الذى تمت معالجته مرسوماً على ألواح معدنية لتحفظ فى الهيكل تذكاراً وتبركاً .

وكان الأطباء الكهنة أشد الناس حرصاً على كتمان أسرارهم العلمية ولا يلقنونها لغير الأكفاء . وكان العلماء من الأطباء الكهنة على شهرة عظيمة حتى فى غير بلادهم المصرية ، فكثيراً ما انتدب المشاهير منهم لعلاج الملوك الأجانب فاستوطنوا فى ممالكهم ، ومنهم من كان يُستدعى للعلاج ثم يعود كما حصل كثيراً فى عهدى «قورش» و «دارا» ملوك الفرس .

**هل عرف المصريون القدماء التخصص فى الطب ؟**

الإجابة : نذكرها بكل فخر واعتزاز نعم ؛ لقد عرف أجدادنا المصريون القدماء التخصص فى الطب فقد ذكر المؤرخ الإغريقى الشهير «هيرودوت» فى كتابه عن الطب والأطباء عند قدماء المصريين أن كبار الأطباء وهم من خيرة العلماء كانوا فى أواخر الدولة الحديثة أى القرن الخامس (ق . م) يجعلون لأنفسهم اختصاصاً فى بعض الأمراض يتفرغون للبراعة فيه . فمنهم من كان للأمراض الباطنية ، ومنهم من كان للرمد ، ومنهم من كان للرأس والأسنان ، فليس التخصص من محدثات هذا العصر كما يزعم البعض .

وشىء آخر نذكره بالفضل والعرفان لأجدادنا القدماء وهو أنهم كانوا ينتدبون بعض الأطباء لمعالجة المرضى والجرحى فى الحروب . ومن هذا يتضح أن اصطحاب الأطباء بالجيوش المحاربة فى تنقلاتها ليس من مبتكرات العصر الحاضر بل قد سبقت إليه عناية قدماء المصريين اعترافاً بفضل أطبائهم ، وحرصاً على حياة أبنائهم فى ميادين القتال .

**ثم ماذا عن الأطباء المصريين القدماء ؟**

نقول : كان بين الأطباء المصريين من يفضل الوجود فى المدن الأجنبية التى يكثر تردد التجار المصريين عليها ليؤدوا لهم ما يحتاجون من المعالجة والإسعافات مجاناً ؛ لأن الحكومة كانت تمنحهم الرواتب الوافرة للقيام بذلك . ولأولئك الأطباء شهرة ذائعة الصيت فى تاريخ العالم القديم ، وتشهد مؤلفات أهله بذلك

فقد أشاد بهم هوميروس وهيرودوت وسترابو وديودور الصقلى فى كتاباتهم .

وكان لبقية البلاد ما يوجد فى عواصمها من الأطباء البارعين للعلاجات المتنوعة ومن ضمنها تجبير العظام ببراعة يتوارثها عنهم بعض الخلف إلى اليوم .

ولما انتشر علم الطب بين الطبقات فى خدمة الهياكل البسيطة اكتفوا بما كانوا يتلقونه فى معالجة الفقراء مجاناً بدلاً من الرُّقى والتمائم التى كانت متبعة فى تلك الأحيان، وبعض البسطاء ما زالوا يتمسكون بها فى الأقاليم حتى الآن.

## * علاقة الطب بالسحر عند قدماء المصريين :

كان قدماء المصريين يعتقدون أن كل مرض من الأمراض المختلفة التى تصيب الإنسان سببه أرواح خبيثة تتسلط عليه بقوتها الشريرة على الأجسام ، فتحدث بها هذه الأمراض ، وهذه القوة الشريرة عند مقابلتها بالتأثير الأقوى تتلاشى ويشفى المريض . فكان للعلاج عندهم طريقتان : الأولى ؛ بالمؤثرات الروحية التى يعتقدون أنها محصورة فى بعض الكهنة والسحرة ، والطريقة الثانية فى العلاج باستعمال العقاقير الطبية المعتادة لطالب الشفاء ، والسر فى ذلك عندهم أن المعبود «تحوت» رئيس السحرة كان أوصى إلى قومه المصريين القدماء بتأثير سرها فى العلاج ؛ وأنها من الخواص الملموسة باليد ، ففائدتها تكون أكثر وأنفع من تلك القوى الروحية المعنوية التى قد لا تؤثر فى أحيان كثيرة .

ومما ذُكر فى الأوراق البردية الطبية أنهم كانوا يُشفعون تلك العقاقير بالصيغ السحرية الجازمين بفائدتها فى معالجة الأمراض ، وكانت هذه الصيغ السحرية ذات معان رمزيه متعددة ، وكان أغلب الكهنة علم بتأثير الروحانيات على الماديات ويرجع الأصل فى ذلك إلى قوة العقيدة الدينية وانقياد الناس إليها والشعب المصرى بفطرته وسلامة سجاياه أقرب إلى حسن العقيدة والتصديق ، ولهذا أُشير فى بردية «إبرز» الطبية إلى أن الرقية والدواء كل منهما يفيد فى مصلحة الآخر .

**جد ـ حور الساحر الشافى ، متحف القاهرة**

وكانوا يعتقدون أن لكل من الموجودات الكونية روحاً تلائم عنصره وفصيلته، وتلك الروح تجعل له من الحياة ما يلائم طبيعته التكوينية ولهذا زعموا تسلط الطبيعة على الإنسان ، وأن الساحر كان يتسلط بقوته النفسية على مجموع هذه المؤثرات فيكون له على باقى النفوس قوة الإخضاع والتأثير فيما يشاء .

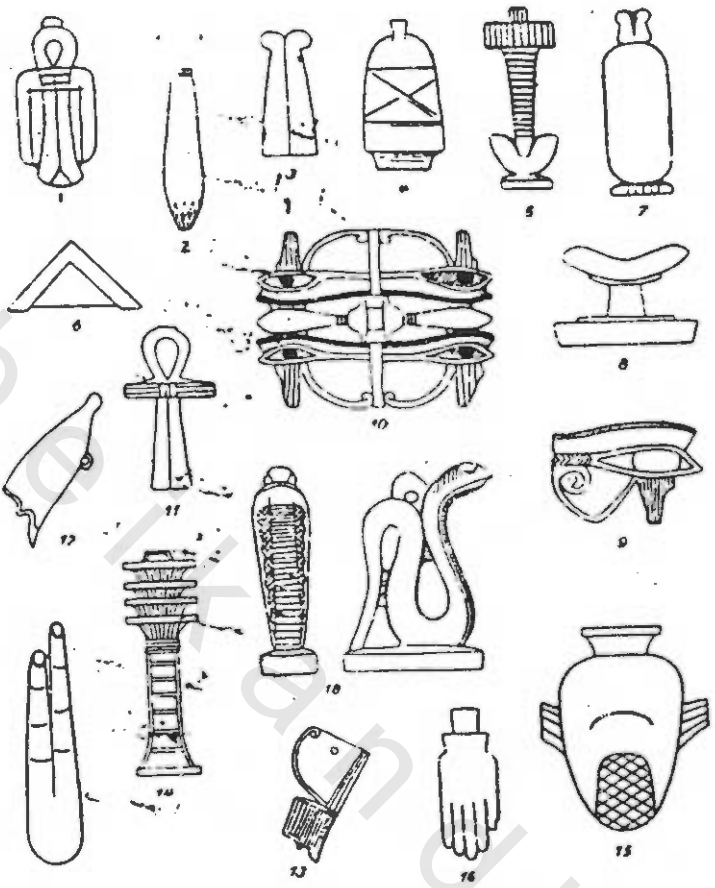

**( أشهر التمائم المصرية )**

١ـ ابزيم حزام (ويدعى دم ازيس) .

٢ـ صولجان على شكل الورق البردى .

٣ـ تاج من ريش النعام .

٤ـ خصلة (Troddel بالألمانية) .

٥ـ علامة الاتحاد .

٦ـ زاوية مثلثة .

٧ـ خرطوش (حلقة مستطيلة يكتب فيها قدماء المصريين أسماء الملوك والملكات)

٨ـ مسند للرأس

٩ ـ ١٠ عينان .

١١ـ علامة الحياة .

١٢ـ تاج للوجه القبلى .

١٣ـ تاج للوجه البحرى .

١٤ـ علامة للبقاء والخلود (ولفظها بالمصرية القديمة دد) .

١٥ـ قلب .

١٦ـ يـــد

١٧ـ أصبعان

١٨ـ الحية المقدسة

ومن معتقداتهم القديمة أيضاً أن لكل آدمى قريناً من الجن يلازمه فى الحياة ويتبعه فى الموت ، وكان يسمى فى اللغة المصرية القديمة (كا) ورسموه على شكل ذراعين مرفوعين ، فالدنيا فى اعتقادهم مملوءة بقوة الأرواح المؤثرة ، فيجب على الإنسان اتقاء ما يخشاه فيها من الشرور إن استطاع ذلك بنفسه أو بمعونة الغير فى مقاومة ومطاردة ما يحذره أو يحل به ، ولا تزال خزائن المتحف المصرى وهى بين أيدينا اليوم مفعمة بأنواع التمائم والتعاويذ والأشكال الأخرى التى من قبيلها . وكان الأقدمون يصنعونها من الطين الصرف أو الممزوج بمسحوق الزجاج والحجارة ويطلونها بالألوان ، ويضعونها فى القبور كأنهم كانوا يعتقدون نفعها حتى فى عالم البرزخ .

جعران نخاو الثانى فرعون مصر «الأسرة ٢٦»

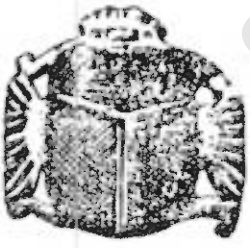

رسم جعران آخر

obeikandl.com

# نظريات الطب عند قدماء المصريين

## * النظريات العامة للأمراض :

لقد افترض قدماء المصريين أن لكل مرض سبباً ، وأن الجسم يولد حياً صحيحاً ، ولا يمرض أو يموت إلا بفعل فاعل دخيل عليه ، ولفظ «دخيل» يستعملونه بمعناه الحرفى فيقصدون به تسللاً مادياً إلى داخل الجسم وهو ما نسميه بلغة الطب الحديث «مصدر العدوى» .

وقد يكون هذا الدخيل ـ من وجهة نظرهم ـ ظاهراً للعين كالجروح والحروق والسموم والإفراط فى الأكل إلخ ـ وفى هذه الحال يسهل عليهم معرفة علته والتخلص منها بالطرق الملائمة ، أما إذا كان الدخيل خفياً ، ساروا وفق افتراضاتهم المستمدة من نظرتهم إلى الحياة ، كما سار من جاء بعدهم قبل نشأة علمى الميكروبات والكيمياء الحيوية .

### «أ» الأسباب الخارجية :

#### ١ـ الهواء :

والهواء أولى العلل التى افترضوها للأمراض ، وقد ورد ذكره فى عبارات عدة بمعان مختلفة أتى فى كل منها بمعنى ، بحيث كان يحمل مدلولات شتى ، تشمل معنى الريح ، والزفير ، والنفث ، أى القوى التى تنبثق مع النفس . وهذا التعبير نفسه هو الذى أدى إلى تسمية مرض الملاريا بهذا الاسم ، إذ أن هذه اللفظة Malaria معناها «الهواء الفاسد» بعد أن لوحظ انتشار المرض بالقرب من المستنقعات الراكدة حيث يفسد الهواء .

والمعنى الأول أى «الريح» تجده فى عبارة «أبعاد ريح طاعون السنة» التى وردت على ظهر (قرطاسة أدوين سميث) وهذا يوحى بأنهم فطنوا إلى أثر الهواء فى نشر الأوبئة .. وأنهم سبقوا ـ ولو فى تواضع ـ مؤلف أبقراط عن الأهوية .

أما المعنى الثالث فهو أقل واقعية من المعنيين الأولين ، بل إنه ملون بالطب الروحانى ونجده فى الوصفات التى ترمى إلى «إبعاد ريح شخص حى أو ميت أو ميتة أو عدو أو عدوة أو إله أو إلهة» ولا شك فى أن المقصود هنا هو النفس أو النفث ، وهذا تعبير روحانى لا يؤدى معنى العدوى بجراثيم النفس ، فإن النَّفَس ـ فى نظر الشعب ـ حامل للروح وفقدانه هو الموت، وكان أول طقس من طقوس التحنيط وإعادة الحياة إلى الميت في ديانة المصريين القدماء ، هو طقس سمى فتح الفم ، والسحر يؤمن بقدرة النفث على إلحاق الضر بالإنسان ونحن ما نزال نقول عمن يقع ضحية عمل سحرى إنه «اتنفس» .

قال تعالى فى كتابه العزيز : ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِن شَرِّ مَا خَلَقَ * وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ * وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ * وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾[سورة الفلق]

ولكن لا شك فى أن التعبيرات مع أنها مبنية على السحر تحتوى على عناصر تجريبية ربما أتت نتيجة لملاحظة واقعية ، فإن الريح تحمل الأمراض لسخونتها أو برودتها أو رطوبتها أو بفعل الجراثيم التى قد تحملها ،كما أن نفس المرض ينقل بعض الأمراض المعدية ، وان تعرّض الجروح أو الأغذية للهواء يؤدى إلى تلوثها بالجراثيم .

**٢ـ عيوب التغذية :**

والمجموعة الثانية من الأسباب التى ذكروها ترجع إلى عيوب التغذية ، إما لعدم صلاحيتها أو نتيجة للإفراط فيها ، وعدوا لذلك أمثلة منها : أكل الجميز غير الناضج واللحم المتعفن ، واللحم الذى زاد طهوه ، وشرب الجعة (البيرة) الساخنة ، والشرب مع أكل نوع من السمك .

وفى وصف تأثير الخمر قالت قرطاسة (إنسنجر) : « من ملأ نفسه بالنبيذ أقعده ألم الشّعر فى مضجعه » ، ومن الطريف أن الصداع الناجم عن احتساء الخمر يوصف أيضاً فى الفرنسية بألم فى الشعر .

وهناك وصف واقعى لحالة سُكْر يقول : « سقط إكليلك من رأسك حول رقبتك ، إنك تزحف على بطنك ، ثم تقف وتعاود الوقوع على بطنك ، إنك ملطخ بالقاذورات » ولا شك أن الإفراط فى الأكل والشرب كان شائعاً بين الأثرياء من المصريين ، فقد وردت نصيحة فى بردية «إبرس» بوجوب اجتناب الأكل قبل عودة الشهية وهى تذكرنا بقول النبى ﷺ :

« ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطن ، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صُلبه فإن كان ولا بد فاعلاً فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه » .

ومما يؤكد أنهم كانوا يعزون علة كثير من الأمراض إلى الإفراط فى الأكل أو إلى تعفن الأطعمة فى الأمعاء ، إن هيرودوت ومن بعده «ديودور» الصقلى رويا أن المصريين اعتادوا تناول المسهلات والمقيئات ثلاثة أيام متتالية من كل شهر . كما أن ذكر الملينات والحقن الشرجية واللبوسات يتكرر فى أغلب وصفاتهم . ثم إن (قرطاسة شستر بيتى) بأكملها ، وأجزاء كبيرة من (قرطاستى هرست وإبرس) لم تتناول سوى البواسير وأمراض الشرج ، بل إن أحد مشاهير الأطباء حمل ضمن ألقابه «راعى شرج فرعون» .

ترى هل نعجب لهذه النظرية القديمة: نحن الذين نسبب أمراضاً عدة تؤدى إلى «عفونة» أو «وساخة» فى المعدة أو المصارين . ونقول إن «المعدة بيت الداء» وكنا نُحتّم إلى عهد قريب تناول شربة زيت الخروع بداية لكل أنواع العلاج حتى إذا بدت العلة بعيدة عن الأمعاء مارسنا أنواعٍ أخرى من العلاج ، وهنا يجدر الذكر أن (قرطاسة إبرس) قد أفردت فصلاً كاملاً للخروع فضلاً عن أنه كان يذكر فى العديد من الوصفات .

هل نستغرب هذا وقد أسس السير (أربثنوت لين) الأستاذ الإنجليزى ذائع الصيت نظريته المعروفة على تعليل المرض باحتجاز الغائط فى الأمعاء ؟ الأمر الذى يترتب عليه ضرورة تسليك مجراها بالجراحة وقطع الالتصاقات التى تعوقها

... إلخ من الإجراءات التى تكفل مرور الفضلات للتخلص منها . وما تزال بلاد المياه المعدنية مثل : فيشى ، ويلومبيير ، وكادلسباد ، تكتظ بالمرضى الذين يترددون عليها لشرب المياه المعدنية الملينة ولغسيل الأمعاء الغليظة بعشرات اللترات من مياهها .

**٣ـ الغائط :**

ونستنتج من اهتمامهم بمحتويات الأمعاء أنهم كانوا يعدون الغائط سبباً مهماً من مسببات الأمراض ، ويبدو أنه كان فى نظرهم يسبب المرض إما بانتقاله إلى غير مقره وإما بتعفنه .

ولكن فكرة الغائط أوسع من أن تنحصر فى المواد البرازية فحسب فإن الغائط عند الإغريق كان ينتج عن هضم الأغذية (pepsis) ولم يكن التعفن فى نظرهم إلا خطوة فى تلك العملية ، فإذا ما اجتاز حدوده الطبيعية تحولت مادة الغائط إلى مواد غير طبيعية قد تسبب المرض ، وهى شبيهة بالتى سماها جالينوس (بريتوما peritoma) .

وقد ظن المصريون أيضاً أنها فى تلك الحال قد تتحول داخل البطن إلى ديدان ، أو تسرى فى الأوعية فتتسرب عن طريقها إلى الأنسجة وترسب فيها ، فتتحول إلى خراج أو ورم أو قرحة .

وهناك لفظة حار اللغويون فى تحديد معناها وإن اتفقوا على أنها تؤدى إجمالاً معنى المادة المرضية أو الخلط المرضى ، وهى لفظة «أخدو» .

وهذا «الأخدو» كان مركزه حسب القراطيس فى الأمعاء ، كما كان يصح أن يسرى فى الجسم فيسبب فيه شتى الأمراض فى جميع أجزائه ، فتظهر ظواهره فى الأوعية والرأس والفم والأسنان وتجويف الصدر والقلب والبطن والشرج والأورام والقروح والخراريج . أما نشأة «الأخدو» فإن جزءاً كبيراً من مفكرى قدماء المصريين كانوا ينسبونه إلى التعفن المعوى كما أسلفنا .

وكان «الأخدو» يرتبط ارتباطاً وثيقاً بمرض سموه «عاع» وقد حار المؤرخون فى تحديد هذا المرض وقال بعضهم إنه الانكلستوما ، وقال البعض الآخر إنه البلهارسيا.

## ٤ـ العاع :

لقد ذُكر هذا المرض فى أربعة قراطيس : ٢٨ مرة فى (بردية إبرس) ، ١٢ مرة فى (قرطاسة برلين) ، ٩ مرات فى (قرطاسة هرست) ، ومرة فى (قرطاسة لندن) ، ويستخلص من الأوصاف الإكلينيكية التى ذُكرت بصدده أنه كان مصحوباً بانتفاخ معوى وبآلام فى البطن ودق ووخز وهروبه فى القلب .

وقد أضاف «إبل» إلى تلك الظواهر ، الإفرازات الدموية التى قال عنها إنها من البول فى حين قال آخرون إنها من الغائط وأكد أن العاع هو البلهارسيا .

أما عن صلة العاع بـ «الأخدو» فإن النصوص تقول : « لقتل الأخدو وإبعاد العاع أو إبعاد العاع وقتل الأخدو » .. الأمر الذى يشير إلى أن العاع الذى يجب استبعاده ليس بالعامل المباشر للمرض ، وإنما هو المحرك الأصلى الذى يسبب المرض عن طريق «الأخدو» ، هذا «الأخدو» الذى كان يجب قتله للإبراء .

وإن صح أن العاع سببه الديدان ، فقد أكدت الأبحاث الحديثة أن نسبة المصابين بأكثر من طفيل واحد من بين جملة المصابين تربو على ٩٠٪ فى الدلتا ، ولذا فإننا لا نستغرب أن يكون ما أطلقوا عليه اسم العاع ليس إلا مجموعة ظواهر من عدة طفيليات ، مثل الانكلستوما والبلهارسيا ، والاسكارس والديدان الأخرى ، التى اعتادت التحالف فى جسم المريض الواحد .

ربما شاهد المصريون إذن ـ فى الحالات المصابة بالبلهارسيا الخبيثة فى الأوردة ـ ديداناً مرئية مثل الاسكارس أو الانكلستوما ، ولم يميزوا بين الاثنين ، فعرّفوا العاع بأنه عنصر خارجى يدخل الجسم فيتسبب عنه «الأخدو» الذى قد يظهر فى البراز على شكل ديدان أو فى الجسم على شكل مرض .

### ٥ـ الـديـدان :

الديدان هى من مسببات الأمراض عند المصريين القدماء ، فقد جاء فى (قرطاسة أنسطاس) أن تسوس الأسنان سببه الديدان ، ونحن ما نزال نسمى تآكل الأسنان «السوس» ، كما نطلق هذا الاسم على التهابات العظام المزمنة ، درنية كانت أو غير درنية ، وجاءت وصفة فى (بردية إبرس) ونقلتها أيضاً (قرطاسة هرست) يقصد بها علاج الديدان الموجودة فى الأصابع ، الأمر الذى يجعلنا نتساءل : أكان المقصود الداحس أو الشرانق التى تصيب أحياناً الجروح المتقيحة .

ومن الطريف فى شأن الداحس أنه يسمى فى ألمانيا الشرقية (Nagelwurm) ، أى دودة الظفر ، وأن لفظ داحس مشتق من الأصل الثلاثى الذى اشتقت منه لفظة أخرى هى الدحاس ، وهو اسم نوع من الديدان يعيش تحت الأرض .

وهناك تعويذة غريبة على ظهر (بردية إدوين سميث) وهو الجزء السحرى منها وقد تشير إلى نسبة المرض إلى حشرات تدخل الجسم عن طريق الفم : «تعويذة لرجل ابتلع ذبابة» : «إن فاه نقى مثل فم العجل الوليد لتوه الذى لم يدخل جسمه طعام ، إن الحشرة التى ابتلعها ستخرج منه حية وستقع منه كالفضلة دون أن تؤذى بطنه » . والظاهر أن العجل الوليد الذى لم يأكل بعد كان فى نظرهم غاية فى الطهارة ، فقد ورد التشبيه ذاته فى نصوص الأهرام : « إن أوناس طاهر كالعجل الوليد الذى لم يرضع من أمه » .

## «ب» المسببات غير المرئية للأمراض :

### ١ـ الأسباب الروحانية للأمراض :

أما إذا كانت مسببات المرض غير ظاهرة فكان يتحتم على المصريين القدماء نسبتها إلى عناصر خفية طبقاً لنظرتهم المنطقية للمرض وكان طبيعياً فى ذلك

العهد من التاريخ البشرى أن تكون بعض تلك العناصر روحانية ، كغضب الآلهة، أو انتقام الموتى ، أو فعل الأعداء شأنها فى ذلك شأن الأمراض النفسية فى العصر الحديث .

فكان الطبيب إذا ما اقتنع بأن مرضاً ليس من الأمراض العضوية أحال المريض على زميله الساحر ، وقد وردت أمثلة عدة لهذا التمييز . مثل رواية أميرة بختان التى أرسل إليها رمسيس طبيباً لعيادتها فقال هذا الطبيب : « إنى لا أقدر على هذا المرض ، استنجدوا بمن هو أقوى منى ، الإله خونسو ، إنه أقوى منى » وقد فعلوا فشفيت الأميرة ، فلا يدهشنا إذن أن نرى بعض الأطباء وقد حملوا ألقاباً تجمع بين الطب والسحر مثل : تى عنخ رع الذى كان مفتش الأطباء وكاهن الإلهة سخمت ورئيس السحرة .

وقد أوصت قراطيسهم بعلاج عضة الإنسان أو الأسد أو فرس النهر أو التمساح بالعقاقير والمراهم فى حين عولجت عضة العقرب والثعبان باستخدام النصوص السحرية (نص حجرة مترنخ) أو بالرقى والتوسلات (بردية لندن) .

وكان للأرواح المؤذية رئيس يستقبلها فى الجسم ويوجهها ، كانوا يسمونه (الواشى) أو (النمام) ، ومن الطريف أن لفظتى (Devil) الإنجليزية و (Diable) الفرنسية ومعناها «الشيطان» مشتقتان من (Diabolos) الإغريقية ومعناها أيضاً (الواشى) أو (النمام) .

وكانت تلك الأرواح تتسلل إلى المنازل وتختبئ فى الأركان ، الأمر الذى كان يستوجب إحكام إغلاق النوافذ والأبواب ووضع التعاويذ عليها لمنع هذا التسلل . وكذلك فإن الآلهة الخيرة كانت ترسل الأمراض أحياناً عقاباً على العصيان .

وهكذا نجد أن أبشع ورم وصفوه كان ورم الإله خوتسو الذى كثيراً ما كان يوصف أيضاً بالإله الشافى ، وفى هذه الحال كان يتعين ـ فى التماس الشفاء ـ اللجوء إلى الإله ذاته الذى سبّب المرض لاسترضائه .

## ٢ـ الأسباب النفسية والعصبية للأمراض :

ثم إن المصريين لم يهملوا الأسباب النفسية ، فقد جاء وصف الحزن ، والحنين إلى الوطن ، والحب فى قصائدهم الشعرية ، لنصغ إلى ما قيل عن مرض «سانتى خامويس» : « تدثر بثيابه واضطجع وهو لا يدرى له مستقراً . فوضعت زوجته يدها تحت ثيابه وقالت : يا أخى ليس بك حمى ، وأعضاؤك مرنة ، إنه حزن فى قلبك » .

ثم استمع إلى المغترب يصف حنينه إلى الوطن وتشوقه إلى العودة فيقول : «ألا ترى الطيور المهاجرة تعود أدراجها إلى مصر ..؟ إلى متى سأظل نائياً عنها ..؟» وهاك وصفاً آخر : ليرضى عنى (بتاح) فيعود بى إلى منف .. ضعفت عيناى

وهاك شعراً يقدم صورة قاتمة لليأس من الحياة : « إن الموت أمامى كالصحة كالعليل .. كرائحة اللوتس .. كالحنين إلى دارى بعد الأيام التى قضيتها فى المعتقل » .

أما المحبون فكانوا يسخرون من الطب والأطباء : « إن قدوم المحبوبة أنجع من الدواء ، وأجدى من الموسوعات الطبية » أو « سأعتكف بالدار وسوف يدخل علىّ الجيران للزيارة ، ومعهم من أحبها وسيزرى سحرها بنطس الأطباء لأنها هى التى تعرف دائى » .

إلا أنهم لم يكتفوا بتفسير الأمراض العصبية بالعوامل النفسية أو الروحانية ، فقد ورد فى «بردية كاهون» وصف ظواهر عصبية من تلك التى ننسبها إلى الهستيريا ، نسبوها هم إلى اضطرابات الرحم أو انتقاله من موضعه ، وتذكرنا هذه الكلمة بالإغريق إذ إن كلمة هستريا مشتقة من (هستر) وهو الاسم الإغريقى للرحم .

## سلوك المرض فى الجسم

أما السبيل الذى كانت تسلكه المسببات السالفة الذكر للأمراض فيمكن تقسيمه إلى ثلاث مراحل :

١ـ الدخول إليه .

٢ـ الانتشار فيه .

٣ـ الخروج منه فى حالة الإبراء .

أما دخولها فكان حسب نصوص عدة عن طريق الفتحات الطبيعية الموجودة فى الجسم كالفم والأنف والأذن ، أو عن طريق أفواه افترضوا وجودها فى الأوعية تستقبل فيها الأمراض أو تطردها عنها .

وقالوا إن انتشارها يتحقق عن طريق الأوعية ، وأن التخلص منها يتم كذلك إما عن طريق بعض الفتحات الطبيعية للجسم كالشرج أو البول ، وإما عن طريق فتحات الأوعية المزعومة وقد ورد ذلك فى قراطيس سحرية ، وإذن فيمكن الظن بأنها كانت تؤخذ بمعناها المجازى فقط .

**الميتـــو :**

أطلقت هذه الكلمة المصرية على عناصر تشريحية مختلفة ، تشمل الأوعية والقنوات والأعصاب والأوتار ، وما إليها فى الطول والرفع والصلابة ، كما يطلق الشعب كلمة (عِرْق) على الأعصاب والأوتار وغيرها من العناصر حتى القرون الوسطى . فهم نظروا إذن إلى الميتو على أنه شبكة مواصلات ورى واسعة ، تتخلل الجسم فتوزع فيه الدم والماء والهواء والإفرازات المختلفة كالدموع والمنى ، وتنقل الغائط والأمراض ، ولم يقصروا تلك النظرة على الأمراض المادية ، بل ظنوا أن الأمراض الروحانية التى تسببها الآلهة والأعداء والموتى والأرواح الشريرة

تنتشر كذلك عن طريق شبكتها ، كأنهم أضفوا على تلك العوامل المجردة صفة مادية واقعية ، ورأوها تنتقل من جهة إلى أخرى ومن عضو إلى آخر فتسبب الخراريج والأورام والأمراض العامة ، ويتحتم التخلص منها بالمفرغات كالشرب والمقيئات .

## * العناصر المرضية السارية فى الجسم :

ناقشنا أحد تلك العناصر وهو «الأخدو» أما السبب الثانى فهو الذى أطلقوا عليه لفظة «ستيت» التى ترجمها (جرابو) بالمخاط ، ورأى (إبل) أنها تقابل فكرة البلغم وهو أحد الأخلاط الأربعة التى قال بها اليونان والعرب وسادت الفكر الطبى حتى القرن التاسع عشر .

ولفظة «ستيت» أطلقوها على مادة سائلة تجرى فى الجسم وقد يصيبها التعفن فإذا وصلت إلى عضو أحدثت فيه المرض ، وقد تتحول فى الأمعاء إلى ·ان .

ما الأمراض التى ذُكرت ضمن ما تحدثه من خلل فهى تشابه الأمراض التى كانت تحدث نتيجة للبلغم فى نظر الإغريق . على أن الكلمة ذاتها استعملت أيضاً بمعنى الروماتيزم ولذا فإن (إبل) يرى أن المصريين كانوا لا يفرقون بين الخلط المرضى والمرض ذاته .

أما العنصر الثالث فهو ما سموه «رووث» الذى قد يقابل فكرة خلط آخر من الأخلاط الأربعة وهو المرارة .

## * الإبراء (الشفاء) :

كانت تلك المواد تسرى فى الجسم وتسبب المرض الذى كان ينتهى إما بالوفاة أو الإبراء ، وهو خروج المرض من الجسم خروجاً فعلياً عن طريق إحدى الفضلات أو الإفرازات أى الغائط والبول والقىء والعرق والمخاط ـ على حد

زعمهم ـ وهذه الصورة لخروج المرض تشبه تماماً التفريغات البحرانية التى وصفها (أبقراط) والعرب من بعده .

## * الاختلافات الكَمِّيَّة فى الدم :

تشير نصوص عديدة إلى أن المرض هو أن (القلب لا يتكلم فى الأعضاء) ولعلهم بهذا قد عبروا عما يحدث عندما تنسد الشرايين إما بتجلط الدم فيها أو بضيق يصيبها نتيجة لتصلب جدرانها أو تقلص عضلاتها . وهذا يدعو إلى التعجب إذ إن (أبقراط) قال فى «المرض الإلهى» أى الصرع : « إن البلغم فى الأوردة يعترض الهواء فلا يصل هذا الأخير إلى المخ أو الأوردة » .

وكذلك كانت زيادة الدم فى الأوعية أو الرئتين أو القلب تسبب المرض ، ويذكرنا هذا بنظرية إغريقية يمكن ترجمتها بامتلاء الدم أو بالاكتظاظ (plethora) وقد أشار (سيجرست ، ومارتى ـ ايبانييير) إلى أن فكرة القنوات الموصلة للحيوية والصحة (فكرة الأوعية الدموية) ، فكرة طبيعية عند شعب اعتمد على رى أراضيه، وقاسى من قحط نهره وإفراط فيضه ، فشق القنوات وشيد السدود لتنظيم مياهه ، وهذا مثال جيد لتأثير محيط القوم الجغرافى على فلسفتهم فى الحياة .

## * علاقة الطب المصرى بنظرية الأخلاط :

قال الإغريق: إن الجسم مكون من أربعة أخلاط هى : الدم والبلغم والصفراء والسوداء . وقالوا : إن توازنهم أساس الصحة ، وإن طغيان أحدهم على الآخرين أساس المرض ، وإن طبائع الإنسان بالمثل أربع ، تبعاً لسيطرة أحد الأخلاط على الآخر ، فوصفوا المزاج الدموى الذى يغلب فيه الدم والصفراوى والسوداوى والبلغمى .

وقالوا أيضاً : إن المرض يحدث لغلبة أحد الأخلاط ، وإن علاجه يتم بالتخلص من الخلط الزائد لإعادة التوازن ، كما قالوا إن الخلط الزائد يغادر الجسم فى الغائط أو البول أو العرق أو الخراج عند البرء من المرض ، فهل فيما رأينا ما يبرر إسناد تلك الآراء إلى المصريين ؟

هنا يجب أن نلاحظ أن نظرية الأخلاط الأربعة لم تكن وليدة الملاحظة والاختبار . بل أتت على العكس نتيجة لتأملات الفيلسوف (أنبادقليس) المجردة التى بنت الكون على أربعة عناصر هى : الأرض والهواء والنار والماء ، ونظريات (فيثاغورث) الخاصة بخواص رقم (٤) الذى عده رقماً كاملاً . إلا أن (فيثاغورث) قد تتلمذ طويلاً على كهنة المعابد المصرية ، وأن المصريين وصفوا فى كتبهم السرية أركان الكون الأربعة ، وإن كانت تلك النصوص ترجع إلى حقبة متأخرة من تاريخهم .

ولكننا ، إن ذهبنا إلى حسبان الماء والهواء والدم والمواد الأخرى ، التى قالوا عنها إن الميتو تنقلها مساوية للأخلاط ، وحتى إذا أخذنا بأن ألفاظ (أخدو) و (ستيت) وما إليها تقابل الأخلاط المرضية ، فما أكثر الفرق بين تلك النظريات وبين نظرية الإغريق ، إذ إن الأخلاط ـ فى نظر (أبقراط) وغيره ـ هى مقومات الجسم الطبيعية التى تقوم عليها الصحة إذا ما وجدت بنسبها الطبيعية ، بيد أن الأخدو والستيت ... وغيرها ، تبدو عوامل مرضية بحتة ، ولم يرد ـ البتة ـ ما يفيد بأنها من أركان الجسم الصحيح .

كما أن نظرية الأخلاط الأربعة لم تزدهر وتأخذ شكلها الأخير إلا بعد تطور طويل على ضوء النظريات الحسابية التى ابتدعها (أنبادقليس ، والقمايون ، وفيثاغورث) وغيرهم من فلاسفة الإغريق .

ولربما قال قائل: إن النظريات التى سلف بيانها ، لا تربو على الأفكار الشعبية الحالية للمرض ، وفى هذا القول حقيقة عميقة ، فإنها جميعاً مستمدة

من منبع واحد هو منطق سببى ينبع عن فرض روابط سببية بين حدثين يتعاقبان فى الزمن ؛ غير أن هذا المنطق فى ذاك الزمن كان ينقصه محك التجربة التى لم يكن إليها سبيل .

وبما أن تلك الأفكار تولدت عن التفكير الطبيعى للإنسان فإنها كانت القاعدة الحتمية التى بنى عليها اللاحقون تجاربهم وأفكارهم فانطلقت منها العلوم الحديثة .

فضلاً عن صعوبة البحث فى العلوم المصرية القديمة نتيجة الصعوبات اللغوية .. بالإضافة إلى أن ما وصلنا عن قدماء المصريين قليل ،ونحن ما ننفك نأمل أن تكشف أرضنا الغيورة ـ يوماً ما ـ عن مزيد من تلك المعلومات التى تكتنزها، بوتقة من علينا منها بالكثير .

ومن يدرى فربما أتاح لنا حُسن الطالع أن نشهد يوماً تكشف فيه عن مدرسة من تلك المدارس التى كانت تسمى «بيوت الحياة» وحينئذ سيُقدَّر لنا أن نقف على حقيقة علم المصريين الذين بلغوا بلا ريب شأواً كبيراً فى الطب ، ولو أننا لا نرى منه اليوم إلا جزءاً ضئيلاً من خلال ثقب ضيق ؛ الأمر الذى يجعلنا نعمد كثيراً إلى الفرض والتخمين .

## * القوانين الصحية :

اجتهد المصريون القدماء فى تطبيق القوانين الطبية على مقتضيات الحالة الصحية علمياً ، فمن قواعدهم الصحية النظام الخاص بالمواد الغذائية فى أوقاتها، وكانت هذه القواعد متبعة أيضاً على أشخاص من الملوك فلا يتناولون أكثر مما يقرره لهم أطباؤهم فى مواد الغذاء والشراب ، وتحديد الأزمنة لرياضتهم ، وقيامهم بمباشرة الشئون العامة الحكومية .

قال (ديودور الصقلى) : إن الأمور الطبيعية كالمباضعة كانت منظمة عندهم حتى خصصوا لها أوقاتاً معينة، وقال (هوميروس وبلوتارك) : إن كل مصرى فى ذاته كان كطبيب خاص لعائلته لاعتيادهم على اتباع القوانين الصحية منذ نشأتهم . وكان قدماء المصريين يعتبرون الأطباء كمعلمين ، يتلقون عنهم العلوم الصحية ويلقبونهم (محاميّ الصحة) ، حتى لقد اعتبرهم اليونانيون «أنهم منشئو علم صحة الأبدان» وقالوا: إن المصريين هم الشعب الوحيد السليم البنية الذى يمكنه أن يعمّر طويلاً مع بساطتهم فى أدوار الحياة ، وتناول الأغذية البسيطة ، وليست كذلك الشعوب الأخرى .

واشتهر الشعب المصرى بالإيناس والبشاشة والنظافة وكان الكهنة يزيلون عن أجسامهم كل يوم الأدران والشعر ، ويغتسلون بالماء البارد مرتين فى كل أربعة وعشرين ساعة ، وكانوا دائماً يحرّضون الشعب على الاقتداء بهم فى ذلك ، خصوصاً الذين تدعوهم شئوونهم المعاشية للتلوث بالأتربة ونحوها ، وكانوا يحتّمون على أنفسهم الاغتسال قبل الدخول إلى الأماكن المقدسة ، وأماكن العبادات وكذلك بعد مباضعة النساء .

وكان المصريون القدماء يفضلون المعيشة فى الخلاء بقدر الإمكان ، حيث المنازل الفسيحة التى تكثر بها البساتين ، ويبنون فى أعالى دورهم أماكن تساعد على الانتفاع بطلاقة الجو ونقاوة الهواء ، ويلبسون فى أوقات الاستراحة من أعمالهم الملابس البيضاء كرياضة جسدية لأجسامهم .

وكانوا على جانب من المحبة للأعمال الرياضية بأنواعها بما فيها الصيد والقنص يقول (شامبليون) : « إنه وجد فى مقابر بنى حسن رسوم للأسرة الحادية عشرة أى منذ حوالى (٢٠٠٠ سنة ق . م) تدل على أن المصارعة كانت معروفة عندهم واشتهروا بالبراعة فيها ، وكانوا يعتنون بغسل الأيدى قبل الطعام وبعده ، وغسل كافة الأوانى والأدوات المنزلية المخصصة للطبخ وغيره ،

obeikandi.com

وكانوا يتعمدون عدم التكلف والتأنق فى الأغذية ، وكثيراً ما كانوا يقصرون طعامهم فى أغلب الأوقات على الخبز والكعك والخضروات والثمار والأسماك والطيور ، ويمتنعون عن أكل لحم الخنزير لخبث تغذيته ، وكذلك أكل لحم الكركى والتمساح وجاموس البحر ، وكانوا يصومون أياماً عديدة فى السنة ، وكان الصيام يسبق عيد المعبود (إيزيس) ولا يتعاطى الكهنة شيئاً من الخمور ، ولا يأكلون الفول والبصل ، لأنهما يساعدان على زيادة التبخر المعدىّ وتوليد الغازات ، وعن السمك أيضاً لأن لحمه منبه للدم وهم بحسب مهنتهم يطلب منهم أن لا تثور حواسهم بما يمنعهم عن التفرغ لآدائها بخشوع واستكانة .

وكانت لهم عناية عامة بالأحوال الصحية ، حتمها عليهم تضلعهم فى الفنون الطبية ، ورأوا من مقتضياتها اتخاذ كل ما يمكن لتوقى الأسباب المؤدية لأى خطر صحى على الأجسام ، سواء بإصابات مرضية أصلية أو بعوارض العدوى ونحوها .

وكانوا يرون أن العناية بمياه الشرب فى مقدمة الاحتياطات الواجبة ، وكانوا يفضلون الماء القراح على كل الأشربة ، ويعمدون إلى تطهيره بواسطة غليانه على النار ، حتى يبلغ أشد درجات الحرارة ، ثم يجعلونه فى الآنية المناسبة لاكتساب البرودة حتى يكون صالحاً للشرب ، ويبالغون فى هذه الاحتياطات توقياً من الأمراض الباطنية ، وعند ظهور نوع من الأمراض الخطرة ذات الانتشار والعدوى .

وعنهم أخذ الملوك هذه القواعد الصحية ، يدل على ذلك أنه فى سنة (٥٥٠ ق . م) ، عندما عزم الملك (قورش) على القتال أخذ معه كميات من الماء فى أوانٍ فضية ، ثم تقررت هذه القاعدة فى كل تحركات الملوك حالة ابتعادهم عن عاصمة مملكتهم .

ويقول (هيرودوت) المؤرخ الإغريقى : « إن هذه العادة قررها الملك المذكور «قورش» فى نظامات هيئته الملكية وتنقلات الجيوش ونحوها ، امتثالاً لنصائح اثنين من أطبائه الثقاة اللذين تلقيا علومهما الطبية على أيدى أساتذة من الأطباء المصريين» .

وكان الفراعنة على جانب عظيم من الرأفة بالرعايا مهما بلغت بهم الظروف فى بعض الأحوال لاستعمال القسوة والشدة ، ومما يؤثر فى هذا المعنى أن الملك خوفو منشئ الهرم الأكبر الذى استمر بناؤه نحو ثلاثين عاماً وكان عماله ١٠٠ر٠٠٠ ، فإنه استمع إلى نصائح أطبائه لمنع انتشار الأمراض والعدوى بين العمال ، لهذا أمر بأن تعدّ لهم الملابس ، وكان يأمرهم بالاغتسال يومياً فى الأوقات المعدة للراحة من العمل ، ويجعلون لهم أماكن خاصة بعيدة عن محل اشتغالهم لتأدية كل احتياجاتهم على أبعاد متفاوتة ، حرصاً على نقاوة الهواء ، وعلى سلامة أبدانهم من مضار التلوث بالمواد القذرة ونحوها .

وكان الأطباء يرتبون لهم محاجر صحية ، ويجعلون فيها من يتقرر عزلهم عن باقى الأصحاء فى أمكنة خاصة على صخرة مرتفعة . وفى كل عام كانوا يحرقون مساكنهم ويجددون غيرها حتى لا تصيبهم (مسببات) الأمراض التى تكون كامنة بين بنائها .

أما موضوع التحنيط فسنعرض له فصلاً كاملاً لأهميته .

وبعد فلقد كان للطب المكانة الأولى عند قدماء المصريين قبل (أبقراط) الذى يلقبونه (أبو الطب) ومما لا شك فيه أن الطب عند قدماء المصريين يرجع تاريخه إلى ٦٠٠٠ سنة ، فمصر بهذا المعنى جديرة بأن نلقبها (معلمة الجنس البشرى) ، وآثار قدمائها تذكرنا بما كانت عليه مدنيتهم من التفوق والإبداع ، خصوصاً وأن أغلب هذه الآثار الشاهقة والمعابد والهياكل يرجع تاريخها إلى ٥٠٠٠ سنة .

ولا يفوتنا أن نذكر من قواعدهم الصحية لحفظ الأجسام ودفع العاهات عنها ما ورد نصه فى بردية برلين الطبية : « إن كل فرد فى الوجود مكلف بحفظ كيان ذاته باتخاذ ما ذكر بعناية ونظام ودقة أضعاف ما يطلبه مالك الأرض لحسن نباتها ، وخصوبة أرضها ، ووقايتها من سائر الآفات الجوية وغيرها » .

نعم لقد كان بمصر علماء أفاضل يبذلون كل مجهود فى الرقىّ الإنسانى وزخارف الحياة التى بها قضوا حياتهم العزيزة فاستطاعوا إسعاد مجتمعهم الإنسانى وتخفيف ويلات الأمراض عنه ، والتى كان فتكها بالأمم الأخرى فوق ما تتصوره الأفهام .

obeikandl.com

# الطب الشرعى

وقياماً بالواجب أمام العدالة والتاريخ ، جعلوا فى أنظمتهم القانونية ما يُسمى (بالطب الشرعى) فهو ليس من ابتكارات العصر الحاضر ، بل هو مما سبقت إليه مدنية قدماء المصريين فى عصورهم الغابرة .

وكان الطب الشرعى ينحصر عندهم فى الكشف أولاً على الوفيات ، أى توقيع الكشف على الموتى بمعرفة أطباء يعينون لهذه المهنة ، والتأكد من أسباب الوفاة ، فإن كانت طبيعية أو بأمراض أو عارضة الحوادث ليس فيها إجرام أمكنهم التصريح بالدفن ، وإلا عرضوا الأمر للسلطة القضائية لفحص الوقائع ، وتتخذ نحوها التحريات لحصر الشبهة فيمن تقع عليه مسئوليتها ، فيجرى على الجثة الكشف الطبى ثانياً .

وكان يُشترط فيمن يؤدى وظيفة الطبيب الشرعى فى كل مركز أن تتوفر فيه سعة الكفاءة والخبرة التامة ، والأمانة النفسية والحرص على العدالة والاشتهار بالاستقامة والنزاهة ، ليكون قرارهم فى المسائل الجنائية مطابقاً للواقع ، وتبنى عليه الهيئة القضائية أسانيد عادلة تكفى لتوقيع العقاب المناسب .

وكان من عاداتهم إذا وجدت فى ظروف الجنايات نساء حوامل أن لا يتسرع القضاء فى تنفيذ العقاب ، بل يؤجله حتى تضع الحبلى جنينها لكى لا يتأثر وهو فى ظروف التكوين بما قد ينتج من تنفيذ العقوبة على الأمهات ، فينشأ الجنين طفلاً محوطاً بالضعف والانحطاط البدنى وهو لا دخل له فى الجريمة التى عوقبت عليها الأم .

وكانوا يخصصون للتحريات فى أمثال هذه الظروف بعض الكهنة الموثوق بأمانتهم من الوجهة الطبية والدينية ليس إلاّ ، ويخصصون لها أيضاً بعض القوابل بمعنى أن هذه الطوائف كانت الدوائر القضائية تأخذ بإرشاداتها وأقوالها فى كشف الحقائق طلباً للإنصاف والعدل الذى هو الضالة المنشودة للجميع ، فتستعين الهيئات الحكومية بمن تنتقيهم أعوانا لها فى تنفيذ مقتضياته .